تـمّ تحميـل هـذا الملـف مـن مكتبـة الأديـب الرّاحـل رمضـان لاونـد | جميـع الحقـوق محفوظـة © www.RamadanLawand.com

الأَديب و المُفكِّر الرَّاحِل

رَمَضان عَبْدِ الرَّحْمن لاَوَند

سيّد المنابر

برنـامج

كلمات من نور الله

الحلقة الثامنة والعشرون

مقدمة موسيقية.....

المذيع : الكلمة رسالة الله الخالدة إلى عباده . فهي صوت يتردد في الأذن، أو نور يقذفه الله في القلب، أو فكرة يحتفل بها عقل إنساني سليم . ومهما تكن صورتها فهي ذات طبيعة واحدة . إنها الرسالة التي كان بها الإنسان خليفة الله في الأرض.

نقلـة موسيقيـة .....

سالم : لعل أخانا سعيداً قد وجد الليلة الماضية طريقه إلى النوم ؟!

سعيد : أما في هذه المرة فنعم.

جاسم : هل يعني هذا أنك قد وجدت الطمأنينة .

سعيد : الطمأنينة متوفرة والحمد لله بالإيمان ولكن الحاجة إلى فهم الجوانب المحيطة به هي التي تسبب أرقي.

محمد : هذا صحيح وهو يذكرنا بالحوار الذي جرى بين ابراهيم الخليل عليه السلام وبين ربه.

سالم : وما هو هذا الحوار ؟

محمد : لقد جاء في قوله تعالى من سورة البقرة : " وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ"..

جاسم : هذا كلام جميل . فهل تعني أن من حقنا نحن المسلمين أن نسعى إلى هذه الطمأنينة دون خوف من اتهام أنفسنا بالشك أو بضعف الإيمان ، فلا نجد ضيراً في الأرق والقلق أمام قضايا في الدين غامضة مبهمة ؟

محمد : هو ذاك يا أخ جاسم .

سعيد : هذه القصة فيما أعتقد جاء بها الوحي لتعليمنا أدب السعي إلى المعرفة ولتوعيتنا بحقنا في الحصول عليها في أي جانب من جوانب الدين على أن نستضيء بالإيمان ونتقيد بما جاء في الآيات المحكمة ونقف عند الآيات المتشابهة .

سالم : هذا موضوع جديد يفتح الأخ سعيد بابه .

جاسم : وإذا دخلنا فيه بعدنا عما تقرر بحثه في اجتماعنا اليوم .

محمد : إذاً نرجيء البحث في هذا الموضوع ونعود إلى ما انتهينا اليه أمس .

سعيد : حسن جداً . فلنعد إليه .

سالم : دعونا نحدد الموضوع قبل مناقشته .

محمد : لقد قلت في نهاية الاجتماع السابق إن أناس الصحراء مؤهلون أكثر من غيرهم للحفاظ على الوحدانية وتقبلها.. أليس هذا ما صرحت به يا أخ جاسم "..؟

جاسم : أعتقد ذلك .

سالم : ثم استشهدت بقوله تعالى : " الله أعلم حيث يجعل رسالته " ..

محمد : هذا صحيح .

سعيد : والآن ما هي الوقائع أو العناصر الأساسية التي تدفعك إلى المناداة بهذا الرأي ؟.

محمد : لقد سبق لنا أن قررنا بأن الارتباط الدائم بين البيت الحرام والأرض التى أقيم فوقها منذ أول عهد الناس بالرسالات السماوية كما جاء في القرآن الكريم ، هو علامة فارقة تكشف عن المفاعلة الدائمة والحميمة بين البيت الحرام ووادي مكة .

جاسم : هذا صحيح وقد تعرضنا من قبل للظروف والخصائص التي تحيط به . ولكن موضوع اليوم هو الناس في الصحراء وعلاقتهم بالوحدانية وقدراتهم الخاصة على الاحتفاظ بها .

محمد : لعلكم تعلمون أن المؤرخين المعاصرين يتنافسون فى الإعلان عن أن أممهم كانت أسبق أمم الأرض إلى اعتناق الوحدانية .

سالم : هذا صحيح حتى أن بعض المؤرخين ممن تناول تاريخ الشعوب القديمة كان حريصاً على توكيد أن الوحدانية نابعة من أحد هذه الشعوب وأن المتخصّصين في علم الأثار الفرعونية مثلاً أكدوا بأن امنحوبت الرابع أحد الفراعنة قد نادى بالوحدانية بعد أن تسمى باسم أخناتون وألغى الآلهة الكثيرة المعروفة من قبل وحصر الألوهية في الشمس والملك وحسب .

سعيد : كلام صحيح .

محمد : والسبب فى ذلك هو شعور الانسان دائماً بأن الوحدانية هي أعلى مستويات العقيدة .

جاسم : هذا شيء لا يختلف فيه اثنان.

محمد : ولو أضفنا لقلنا إن أقدم وحدانية مقررة في التاريخ برزت لها معالمها الخاصة كانت في مكة المكرمة . إن الوحدانية المطلقة كما جاءت على لسان إبراهيم الخليل ، وهي وحدانية لا تقاربها أية وحدانية مزعومة في الخارج وقد ظهرت في عام ألفين قبل الميلاد حين جدد بناء البيت الحرام .

سالم : بل هناك ما هو أوضح دلالة مما قلت يا أخ محمد . إن تجديد بناء البيت الحرام يعني أن البيت كان موجوداً من قبل وأن الوحدانية التي يرمز إليها موجودة أيضاً بدليل أن القرآن الكريم قد أعلن بصراحة تامة أن : "إنّ أول بيت وضع للناس للّذي ببكة مُباركاً وهدىً للعالمين " ..

جاسم : وما هو في تقديرك طول الفترة التي سبقت عملية التجديد التي قام بها سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام؟

سعيد : أعتقد أن تحديدها غير ممكن ولكن الثابت أن نبوّات ظهرت في أطراف الصحراء العربية وفي بعض أجزائها الداخلية قبل ظهور أبي الأنبياء عليهم السلام . وكانت هذه النبوات تنادي بالوحدانية المطلقة .

جاسم : هل للأخ محمد أن يقول لنا معنى استشهاده بهذا الحادث الذي يؤكده التاريخ ويرويه القرآن الكريم ؟

محمد : طبعاً . إنّ هذا الحادث هو الدلالة القاطعة على أن الوحدانية تراث قديم لأبناء هذه الصحراء . وهو في الحقيقة أقدم ما عرف من الوحدانيات وأصفاها لدى شعوب العالم .

سعيد : واسمح لي أن أضيف إلى ما قلت : إن هذا يعني أن الوحدانية هي الطابع الأساسي للثقافة الدينية لدى أبناء الصحراء .

سالم : ولكن المشكلة هي أن هذه الوحدانية قد ذهبت مع الأيام قبل رسالة النبي العربي عليه السلام .

محمد : الحقيقة أنها لم تذهب بالمعنى الذي نجده في حضارات وثقافات أجنبية : بل داخلتها جاهلية طغت شيئاً فشيئاً على صفائها فتجسدت في بعض الأصنام والأنصاب تحت تأثير ضغوط خارجية .

جاسم : ماذا تعني بهذا الكلام ؟ هل نفهم منه أن الوثنيات الجاهلية هي تراث أجنبي عن ناس الصحراء؟!

محمد : هذا شيء أومن به إيماناً تاماً.

سالم : وكيف ذلك ؟

محمد : التاريخ يحدثنا أن الأوثان والأصنام التي كانت مركوزة في البيت الحرام خلال فترة الجاهلية قد حملت إلى وادي مكة من الخارج.

جاسم : ألا تزيدنا إيضاحاً ؟!

محمد : هلم بنا نعود إلى الماضي البعيد..

نقلة موسيقيـــة .....

المذيع : نحن في عصر الأب الخامس للنبي محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام . إنه عصر قصي بن كلاب. في ذلك العصر كانت القوافل التجارية إلى الجنوب والشمال قد بدأت تذرع الساحل الغربي للجزيرة العربية مروراً بمدينة مكة . وفي قافلة منها أقامت مضاربها في بصرى كان قصي بن كلاب أحد زعماء قريش.

" رغاء الابل ... ضجة ترافق وصول القافلة ... همهمات ... يرتفع الصوت ثم ينخفض شيئاً فشيئاً "..

قصي : عمت صباحاً أيها الرجل ..

صوت : من أين أنت ؟ ومتى القدوم ؟

قصي : أنا من أصحاب هذه القافلة وقد أتينا من وادى مكة مجتازين إليكم هذه الصحراء ببضاعة نحملها من اليمن وبلاد الهند .

صوت : وأين يقع وادي مكة هذا ؟

قصي : أمرك غريب أيها الرجل . ألا تعلم أن بين الله الحرام هو في وادي مكة.

صوت : هذا أول عهدي بالأمر.

قصي : إن العرب كلهم يحجون إلى هذا البيت ويعبدون الله فيه.

صوت : وهل لكم آلهة كآلهتنا .

قصي : آلهة كآلهتكم ؟

صوت : نعم . وما الغرابة في ذلك ؟

قصي : لست أدري ولكننا نعبد رب البيت وحسب . ولكن قل لي : أين آلهتكم هذه ؟

صوت : إنها هنا في هذا الهيكل القائم بالقرب منك.

قصي : هل تريني هذه الآلهة التي تعبدون ؟

صوت : حباً وكرامة .

صوت باب كبيـــر يفتـــح .....

قصي : ما هذا الذي أراه ؟

صوت : إنها الآلهة . انظر جيداً في الظلمة . كبيرها قائم في صدر الهيكل وإلى جانبه زوجته . ومن حولهما بقية الأسرة الإلهية.

قصي : وهل هناك أسرة إلهية ؟! ..

صوت : طبعاً . وهي التي تتولى شؤون الناس وتقرر الحياة والموت والخير والشر ..

قصي : لكننا نحن لا نعرف شيئاً عن ذلك . نحن نعبد رب البيت وحسب . والبيت الحرام هو بناء مربع لا شخوص فيه ولا أنصاب .

صوت : مساكين أنتم لأنكم محرومون من رعاية هذه الأنصاب والشخوص ؟

قصي : هذا أمر غريب .

صوت : إن كانت تعجبك ففي وسعك الحصول عليها لتزيين البيت الحرام عندكم بها.

قصي : وهل أنت جاد فيما تقول ؟!

صوت : كل الجد . وما عليك إلا أن تقصد إلى كبير الكهنة وهو يزودك مسروراً بما تحتاج إليه منها .

قصي : دلني على صاحبك هذا ..

المذيع : ومضى قصي حتى اجتمع بكبير الكهنة الذي زوده ببعض الأنصاب والشخوص فعاد بها بعد بيع تجارته إلى وادي مكة . وقد استقبله أهل مكة بالدهشة والاستغراب ووجدوا فيما حمله إليهم شيئاً يمتازون به من دون كل العرب . ومنذ ذلك اليوم انتشرت عادة إقامة الأوثان وراحت القبائل الأخرى تنافس قريشاً في إقامة مثلها في بلادها . وأصبحت لكل صنم شهرة على قدر شهرة القبيلة التي تبنته وراحت تطوف من حوله.

نقلة موسيقية .....

محمد : هكذا تجدون معي أن عبادة الأصنام التي انتشرت في مكة وأرجاء الجزيرة من بعد هي عبادات وافدة من الخارج . ثم لم تلبث هذه الأصنام أن اتخذت أمكنتها في ضوء قوة الفئة التي عينتها من دون الله .

سعيد : هل في كتاب الله ما يثبت أن الوحدانية لم تذهب تماماً في تلك الفترة من الجاهلية ؟! ..

محمد : طبعاً . إن في كتاب الله ما يثبت ذلك . إقرأ معي قوله تعالى في الآية الثالثة من سورة الزمر على لسان المشركين : " ما نعبُدُهم إلا ليقرّبونا إلى اللهِ زُلفى " ففي هذا النص ما يؤكد بأن الله الواحد جل جلاله لم تغب ذاته عن مشركي الجاهلية . ولكن جاهليتهم قد خيلت لهم أن هذه الاصنام والأوثان هي شفعاؤهم عند الله ووسيلتهم للتقرب منه سبحانه وتعالى فكان بذلك مصدر شركهم بالله.

سالم : اذاً أنت تعتقد يا أخ محمد بأن الوحدانية هي التراث الديني الأصيل لأبناء هذه الصحراء .

محمد : ليس هذا وحسب . بل أعتقد أن هذه الصحراء هي التي منحتها العناية الإلهية لأمر قدرة الله في سابق علمه وفي طبيعة سننه عقيدة الوحدانية ثم خرجت هذه الوحدانية من بلادهم إلى البلدان المجاوره تحملها الفئات المهاجرة أو القوافل التجارية . ولا ننسى أن تاريخ هذه الصحراء حافل بالهجرات البشرية الضخمة التي كانت تحمل معها دين أهلها وعقيدتهم الأصلية في التوحيد.

جاسم : وهل تعتقد يا أخ محمد أن الصحراء كانت جديرة بالحفاظ على الوحدانية لولا الأفكار والأساطير والعبادات الوافدة من الخارج ؟! ..

محمد : على أن تضيف إلى ذلك شيئاً آخر . هو أن انتشار الأفكار الغربية الوافدة في أوساط الجزيرة العربية في فترة الجاهلية قد كان بسبب ضعف الوحدانية وكثرة تضاؤل دوره على امتداد القرون . لقد جاءت الأفكار الوافدة فوجدت القلوب والعقول عارية من المقاومة . لقد وجدت شبه فراغ روحي .

سعيد : وما هو في رأيك دور الرسالة الإسلامية من بعد ؟

محمد : إنه دور المجدّد والباعث . لقد كانت الرسالة الإسلامية عودة إلى الماضي إلى تراث الأمة القديم وثقافتها الدينية الأصيلة أي إلى ملة ابراهيم الخليل عليه السلام .

سالم : إذاً أنت تعتقد أن الوحدانية هي العقيدة الأصيلة لأبناء الصحراء . وهي وحدها التي تتحقق بها وحدة العرب ويبرز بها دورهم القيادي الحقيقي في التاريخ البشري ؟!

محمد : هو ما تقول . وقد كنت أحب أن أعقب على ما قلت ولكن الوقت قد ضاق بحيث لم يعد يتسع لمزيد من الحوار.. فلنعد في الاجتماع القادم إلى ما نحن فيه اليوم .

موسيقـــى نهاية .....